Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهكذا نجد أبيات المطلع تعبر فى ثنايا دقة ألفاظها وإشاراتها عن الخواطر النفسية التى تدور فى أعماق الشاعر ، وهذا الجانب لانعنى به الأحداث التى ينطوى عليها الموقف ، بمعنى أننا لا نقصد أن أبيات المطلع تعبر عن أحداث الموقف الذى قال فيه الشاعر القصيدة ، وإنما تعبر عن صدى هذه الأحداث فى نفسية الشاعر ، فإن الأحداث شىء ، والتأثر بهذه الأحداث شىء آخر ، بدليل أن الناس يختلفون فى انفعالهم وتأثرهم بالموقف الواحد ، ففى موقف يستدعى الغضب مثلاً ، قد لا يغضب كل الذين يعنيهم هذا الموقف ، والذين يغضبون لا يكون غضبهم فى درجة واحدة ، وإنما يتفاوتون فى غضبهم ، والشخص الواحد قد يختلف انفعاله بشىء فى وقت أو حال معين ، عنه فى وقت أو حال أو مرحلة أخرى من عمره ، والذى يعنينا من هذا أن الأحداث شىء ، وأثرها فى النفس شىء آخر ، وأن الدلالة التى نعنيها هنا هى دلالة أبيات المطلع على مشاعر الشاعر وما يدور فى أعماق نفسه من خواطره حين إنشاء القصيدة .

وقد رأينا أن البحترى حشد كل خواطره ولخصها فى البيت الأول من المطلع ، فإن خلاصة الموقف أنه وجد نفسه أمام أمرين ليس فى الحياة أسوأ من اجتماعهما ، وهما الهوان والحاجة ، ومظهر هذا السوء أن الهوان يدفعه إلى مزاولة ما يزرى بمروءته وخلقه ، لأنه لا يملك العزة التى تحفظ عليه المروءة والخلق ، وأن الحاجة تدفعه إلى استجداء اللئام ، لأنه لم يجد وسيلة أخرى ، وكانت هذه أصداء الواقع ، فالواقع المشاهد قد يعرفه الناس ، ولكنهم لا يعرفون صداه فى النفس ، فالشاعر يحدثنا عن هذا الصدى ، فيحدثنا عن الخواطر النفسية التى يديرها لمعالجة هذا الإحساس بالواقع ، وقد دعاه هذا الإحساس إلى رفض الواقع والتمرد عليه ، وكل هذه الخواطر والمشاعر استطاع البحترى أن يحشدها وأن يبرزها من خلال البيت الأول وهو :

صنت نفسى عما يدنس نفسى وترفعت عن جَدا كل جبس

ثم يأخذ فى تفصيل هذه الصورة الموجزة الحافلة بالمشاعر ، فأما عن الإحساس بالهوان الذى أوجزه فى الشطر الأول ، فيوضح مشاعره نحوه ، بأنه لم يستسلم لما أرادته له الأيام من انتكاس وانقلاب وضع ، بل ظل يحاول التماسك وعدم السقوط إلى حيث يراد له ، فيقول :